كانت تنسيهم الدين او تدرجهُ الى رتبة ثانوية وظهر ذلك خصوصاً في الاجتماع الاوّل الذي عُقد المساء السابق للاعياد حيث عرض الحاضرون على كل الارمن سواء كانوا غريغوريين او بروتستانت او كاثوليك ان يتّحدوا مدنيًا تحت سيطرة البطريركية الغريغورية وشورى الملّة دون ان يبدلوا شيئاً من معتقداتهم . فاجاب الارمن البروتستانت الى هذه الدعوة واظهروا بذلك تقديمهم للجنسية الارمنية على الدين . امّا الكاثوليك فاكانوا ليسلّموا بمثل هذا الملتمس وللدين في اعينهم المقام الاوّل يفضل على الجنسية نفسها فآثروا الاحتفاظ على حريّتهم

وكان من نتيجة هذه الاعياد انّ الارمن اقترحوا في روسيّة وتركيّة على اهل ملّتهم اكتتاباً يحضّون ريعهُ على تهذيب الشبيبة الارمنيّة فينتفع ابناء الشعب نفسهم من اكتشاف القديس مسروب للكتابة الارمنيّة وقد بلغ مجموع الاكتتاب في روسيّة وحدها مليون روبل الى اواسط تشرين الاول فقط

وفي الختام نتمنّى نحن الكاثوليك من صميم الفؤاد بان اخوتنا الغريغوريين والبروتستانت يجعلون لدين اجدادنا المقام الاوّل في اعتبارهم ويعودون الى ايمان مسروب واسحاق ونرسيس الذي هو عين الايمان الذي بشّر بهِ القديس غريغوريوس رسول ملّتنا اعني الايمان الرسولي والكاثوليكي الذي وحده يقدر على ان ينهض بأمّتنا من حضيضها ويرقيها الى ذروة التمدّن الاكيد والعمران المفيد

الولادة في الحيوان

نظرٌ للاب اسكندر طوران اليسوعي

انّ الرأي الشائع بين مفسّري الاسفار الالهيّة من المسيحيين ان الله خلق في بدء التكوين انواع النبات وضروب الحيوانات كما نعرفها اليوم الّا بعض الاعراض التي طرأت عليها باختلاف البلدان والاقاليم والاطعمة وما شاكلها وقد امرها خالقها بان تنمو على وجه الارض وبأمره خوّلها القدرة على ان تنتج امثالها بالتناسل ليبقى كلّ نوع سالماً على الشروط المألوفة

ومهما كان من صحّة هذا الرأي ونصيبه من الحقّ ولو رُجح غيره من الآراء التي لم تبتّ الكنيسة في احدها حكماً قاطعاً فانّنا نستطيع ان نقول بكل صواب اننا اذا اعتبرنا الحيوانات وانواعها المختلفة وجدناها تُفيض الحياة على طرائق شتى تختلف باختلاف كل نوع منها. فكل نوع يتناسل على منوال خاصّ به اعني انهُ لم يتفرّد فقط بصورته الخارجيّة وبأجهزة بدنه الباطنة لكنهُ يمتاز ايضاً بطرائق عمله واغتذائه وغائه وتناسله. بل يجوز القول بان الحيوانات من اعظمها جسماً بين ذوات الفقرات الى اصغرها جرماً من الحشرات ترمي بكل حركاتها وسكناتها الى بقاء نوعها فتُتمّ فعلاً امرهُ تعالى اليها في بدء الخليقة: انمي واكثري

نعم ان هذه الحيوانات قد خُلقت كلها لخدمة الانسان فيستعين بها لقضاء حاجاته من مأكول ومشروب وملبوس ولمنافع اخرى عديدة ماديّة او ادبيّة. الّا ان هذه الفوائد ينالها الانسان من الحيوان بفضل عقله وانما الحيوان يوهبهِ وغريزته لا يتوخّى سوى صالحه الخاصّ وبقاء نوعه. فانّ الحليب مثلاً والعسل والحرير كلها من اعمال الحيوانات تصطنعها لفائدتها ولنفع صغارها فيتّخذها الانسان لنفعه. وكذا يقال عن بقيّة الحيوانات التي حوّل الانسان غرائزها الى خدمة حياته فانّ الفيل والجمل والفرس لو عاشت في البراري لاستخدمت قواها لمنفعة نفوسها ومواليدها كما تُرى في بعض القفار الى يومنا الّا ان الانسان بجذقهِ ذلّلها فاستأنست وألفت خدمتهُ ودجنت بعد وحشتها ولو اطلق لها سراحها لعادت الى حالتها من التوحّش كما ترى الخيل في صحاري تركستان سائبةً سارحةً تهتمّ لمعاشها ومعاش افلائها وامهارها

فالاختبار يبيّن لنا اذن ان اميال الحيوان الغريزيّة تؤول الى حفظ ذاته ثمّ بقاء نسله

وان خصصنا بالنظر تناسل الحيوان وكيف يورث حياتهُ بنيه وجدناهُ يجري في عمله هذا على طرائق شتى. فمن الحيوانات ما يولد حيًّا كالانسان فيكون جسمهُ واعضاؤهُ تامّة على شكلها المعروف في كبارها فهكذا تولد ذوات الاربع وحشيّةً كانت او اهليّةً داجنة. ومنها ما يولد في بيضة تصونهُ مدّة الى تمام كيانهِ كالطيور التي تكون قشرة بيضها صلبةً وكالزّحافات والسمك التي تولد في بيضة رخوة الجليدة. ومنها ما لا يُدرك كمال بنيته الّا بعد تحوّلات متوالية كما ترى في الدود والحشرات

لا بل تختلف انواع مواليد الانواع عينها من ذوات الاربع مثلاً والطيور لا تولد كلها على طريقة واحدة فان فلو الفرس مثلاً اذا وُلد كان مفتوح العينين قوي البنية بحيث يستطيع من ساعته ان يسير وراء امه . بخلاف اجراء الكلاب وغيرها من الحيوانات فانها تولد فتية ضعيفة مغمضة الاعين لا تستطيع ان تبرح مأويها وأوجارها مدة أيام عديدة فتعنى الأم بامرها

ترى فراخ الدجاجة والحمامة والبطّ وغيرها اذا نُقفت بيضتها خرجت من اعشاشها ووكناتها تطلب رزقها بخلاف طيور عديدة التي تلزم فراخها العشّ زمناً لخلوّها من الجناح ولضعف بنيتها

ترى الفارة تترك صغارها في وكرها فتسير تطلب معاشها اما الخفّاش الذي هو على شبه الفارة ولا يختلف عنها الّا في تركيب قائمتيه الاماميّتين المستطيلتين كالاجنحة فانه اذا خرج من وكره ليطلب رزقهُ باصطياد حشرات الجوّ ناط صغاره ببدنه وطار معها في الفضاء

وكذلك ترى في اميركة نوعاً من ذوات الاربع كالساريغ (sarigue) تحمل مواليدها بعد ولادتهم في كيس طبيعي فتعطف عليهم ريثما تقوى وتشتدّ

وغيرها من الحيوانات مع دخولها في فصيلة واحدة لشبه تركيبها تختلف ايضاً في نوع الولادة فان العقرب ينسل صغاراً احياء اما العنكبوت المعدود في جملة فصيلته فانهُ يبيض — وكذلك الحيّات فليست كلها على وتيرة واحدة في ولادتها . فان اكثرها ينسل نسلهُ في بيض يُعرَض على حرارة الشمس لتدفئها فتخرج الحيّات الصغار منها . لكن بينها ايضاً اصنافاً اخرى اذا ولدت في البيضة بقيت في رحم امها ريثما تخرج منها حيّةً — ومثلها ايضاً الذباب فانها تسرأ بيضها وتجعلهُ على قرب الطعام الموافق لغذائها صغيرةً . لكنّ نوعاً منها كثير الاذى يُعرف بذباب اللحم الرماديّ لا يولد الّا حيّاً

هذه اختلافات عديدة تجدها في مواليد طوائف الحيوانات على انها جميعاً سواء كانت باقية على فطرتها الطبيعيّة ام أثّرت فيها تربية الانسان بتحويل غرائزها لتفعهِ تتّفق في امر واحد وهو اهتمامها العظيم بنسلها وبذلها كل مجهودها في حفظهِ . فان ذوات الاثدي ترضع صغارها وتُعنى بهم في حداثة سنّها . والارنبة تقرع من بطنها

عَفَرهُ لتبسطهُ في مخزَّنها (عشها) عند ولادة اجراتهـا ليكون لها فراشاً وثيراً. والعصفور يكدُّ ويجدّ طلباً لقوت فراخهِ . والحشرة تسبق وتعدّ لدودتها ما يصلح لها من القوة عند خروجها من البيضة

انظر رعاك الله هذه القطَّة كيف تنقل صغارها بين اسنانها دون ان تؤذيهم الى مأمن يقيهم من آفة تخافها عليهم . وهذه المُهرة كيف تنتب أذنيها وتثب لتعضّ من يحاول أذى فلوها لاسيما اذا اقتربت منهُ مهرة غيرها . وانَّا الناس ينسبون فعلها هذا الى غيرتها ألا انَّ غيرة البشر ربَّما كانت ذميمة وهي في الحيوان وهمٌ غريزي يحملها على صيانة مواليدها

وهذه الغيرة في تربية الصغار والعناية بشؤونها تلوح في الطيور اكثر منها في بقيَّة الحيوان . فانها تُفرغ جهدها في حفظ بيضها وغذاء فراخها . ألا ترى اوكارها التي تتأنق فيها ايَّ تأنق وتصطنعها على هيئات عجيبة ليجد فراخها الغناء عند مولدهم . انظر الخطَّاف كيف اناط عشَّهُ بطرف سقف او قرنة شبَّاك . وما ادراك ما هذا العشّ هو طُرفةٌ من العمل الانيق استحضرهُ بمشقَّة عظيمة فانهُ عمد اوَّلاً الى تُربة ليّنة فعجنها بريقهِ ثمَّ بسطها كاللاط طبقات متتالية على شبه نصف كُرة وذلك كلهُ بهندسة عجيبة دون بيكار ولا مطهار بمجرَّد غريزتهِ الفطريَّة

وهذا العصفور تراهُ يجمع في شعب بعض الاغصان او في احد ثقوب الحيطان عشباً ثمَّ ريشاً ويجبكهما بقطع من الصوف ويبنيْ في داخل هـذه الخشَّة تجويفاً مهندماً يفضي اليـه مسلك ضيّق للدخول والخروج . مَن منَّا لم يعاين وكر الحسُّون المحبوك بالزَّغب ونُتَف الصوف ومشاقة الحرير والاعشاب الناعمة وهو على شكل كأس مقعَّب

وقس عليهِ بقيَّة الاوكار الآخذة بمجامع القلوب لحسن صنعها . وكما يهتمّ الحيوان بتهيئة منزل مواليده كذلك تراهُ لا يألو جهده في غذائها والدفاع عنهـا . وقد خصَّهُ خالقهُ بوهم عجيب يرشدهُ الى كل ما فيه حفظ نوعهِ فذلك ما يحدو بهِ الى التناسل ثمَّ الى صلاح مواليده ليجلب لها ما ينفعها ويدفع عنها كل ما يضرّها

وهذا ممَّا نعرفهُ بالاختبار في كلّ الحيوانات البريَّة والاهليَّة التي هي في ظهرانينا ولولا علمنا الاكيد بان هذه البهائم خالية من الفهم والنطق لقلنا انَّ اعمالها ناتجة عن

تعقّل وادراك وانما هي فقط خواصّ عجيبة خصّ بها البارئ تلك الحيوانات لبقاء انواعها

ولعلّك تسأل وهل يا تُرى في غرائز الحشرات والهوامّ مثل هذه الخواصّ. أوَ لها ما لكبار الحيوان من الحرص على مواليدها ؟ بلا مراء بل عنايتها بها اعجب واذهل كما سترى في حشرة تُدعى الدَّبر الفخّار (pélopée)

وما ادراك ما هذا الدبر ؟ ولعلّك رأيتهُ غير مرّة في غرفة دارك في المدينة او في البستان فأذهلك منظرهُ ولعلّك نفرت منهُ لظنّك انهُ زنبور او دُبور يلسع وليس هو بهما وانّما هو في الحقيقة من الهوامّ اللطيفة له جسم اسود واجنحة شفّافة تحملهُ ثلثة ازواج من القوائم الدقيقة الملوّنة بالصفرة والسواد له بدن بيضويّ الشكل اسود يجمع بينهُ وبين شلوهِ علاقة على شكل الخيط صفراء كالذهب . وقد دُعي في لسان العلم باسم پيلوپيوس (πηλοποιός) ومعناهُ الفخّار فدعوناهُ بالدبر الفخّار ويدعونهُ في لبنان باسم النضوح

وان شئت ان تعلم سبب تسميتهِ بهذا الاسم فانظر الى قرنة من قراني غرفتك او الى باطن خزانتك او في صوان ثيابك او على احد كتبك لعلّك تجد جلّةً من الطين اليابس يبلغ حجمها في بعض الاحيان حجم البيضة او اكبر ووزنها ربّما ناف على مئة غرام . وعلى طاولة شغلي منها زوج في غاية الصلابة وقد رأيت بالعيان الدَّبر عند ما كان يستحضر الواحدة منهما على رأس كتاب من كتب مكتبتي وذلك ليبني لنسلهِ ميتاً غاية في الاتقان والهندام

دَعنا نفحص هذه جلّة الطين بل هذا الوكر العجيب . فُضّ في فصل الربيع برفق الجانب الذي كان واجهةً للوكر المذكور تجد وراء هذا الحاجز من الطين عدّة خلايا شبيهة بمخاريب قرص الشمع للنحل . فان أمعنت النظر في كل خلية من هذه الخلايا التي سعتها لا يبلغ سنتمترًا في الطول والعرض اخذك العجب العجاب من محتوياتها كما اندهشنا نحن لاوّل مرّة في بيروت لمّا فحصنا تلك الخلايا التي اصطنعتها كما قلنا هامّةٌ في حجم الزنبور . ففي قعر كل خليّة عناكب صغيرة لو اردت ان تحصيها بلغ عددها الى عشرة عناكب بل ١٢ عنكبوتاً

وان سألت وما الغاية من هذه العناكب في خليّة صغيرة كهذه لشرنا اليك ان

تنظر الى العنكبوت المطروح في اسفل الخلية فتجد دودة صغيرة وان كانت الخلية حديثة تجد بيضة صغيرة ملتصقة بالعنكبوت . ولو اطلت مراقبة تلك الدودة من اواخر الخريف الى ختام الربيع وجدت بدلاً من العناكب دودة قصيرة ضخمة في شرنقة ذات جليدة سمراء لطيفة تكاد تكون شفافة فماذا جرى ؟ اين العناكب ؟ قد ازدردتها الدودة فاغتذت بها وعماً قليل ستخرج من حبسها لتطير

فيا لله من اين لهذه العائلة الصغرى هذه العناية وهي لا تعيش غالباً الا بضعة اسابيع فتراها لا تكاد تهتم الا بنسلها فتبني لهم هذه الاوكار العجيبة من الطين فقط كما تبني النحل اقراصها من الشمع والزنابير من الورق الصلب ثم تخزن في تلك الاوكار القوت الموافق لدودها حتى اذا حصلت الدودة على حاجتها ماتت الام كانها لم تُخلق ولم تعش الا لوضع نسلها ولحفظه من بعدها

ولو تتبعت عمل هذه الام من اوله لآخره لاستولت عليك الحيرة والدهش من كيفية صنعه فانها اذا امطرت السماء او سال الماء في ارض صابة تسرع الى الطين الندي فتنزع منهُ بفيها وقوائمها الطويلة قطعة صغيرة تحملها الى زاوية بيت او قعر خزانة فتركب هناك خلية واحدة عمقها نحو ٣ سنتمترات في عرض خمسة او ستة ملمترات وهي بيضوية الشكل في قعرها فتسوي ذاك القعر ليكون ملساً ثم تقيم له جدراناً تصقلها بقوائمها وذلك بالتقان عجيب دون بيكار ولا خيط بنّاء . ثم تلحق بهذه الخلية الاولى خلية ثانية ثم ثالثة الى العشر والعشرين . واذا انتهت من صُنع احدى الخلايا للحال تخرج الى الصيد والقنص فتجمع فيما رأيتَ من العنكبوت لقوت صغيرها اما هي فتمتص لنفسها عسل الزهور . ثم تضمُّ الى الخلية الاولى خلايا اخرى تلصقها بها وتعيّنها مثلها من ضحايا العناكب وتجعل في كل خلية بيضة وتسيّج الخلية ثم تموت اذ لم يَعُد لحياتها داعٍ . فتتقلب تلك البيضة في خليتها اطواراً مسلوخة مدة اشهر طويلة وبقربها القوت الموافق لطبيعتها حتى تتم اخيراً بنيتها في فصل الصيف وتسو اجنحتها فتطير من سجنها بعد فتح بابه

ولو فحصت قوتها المخزون معها وجدتهُ طرياً فالعناكب اذن ليست بميتة اذ لو كانت ماتت لجفَّت وبليت بعد قليل وانما هي مخدَّرة فقط فتأكل الدودة لحمها اللين بهناء . وان سألت كيف صنعت الام لتحفظها في هذه الحالة أجبتُك انَّ لهذه

الهامّة حمةً تغرسها في العنكبوت وتولج في جسمها مانعاً مخدّراً فلا تستطيع حراكاً وتنقلها حيّة الى خزانة بيضتها

فيا لله كم جرت لهذه الهامّة الصغيرة من الامور التي تسحر عقلنا لغرابتها وتكاد تدلّ على فهم راقٍ كانها جعلت نُصب عينها غايةً تتوسّل لادراكها باحسن الوسائل وهي تقوم بها دون ان تتعلمها من غيرها. وسيصنع صغارها مثلها دون ان يتعلّموا منها. فقل لي ناشدتك الله أليس هذا المثل كافياً ليدلّنا على ذاك الكائن السامي العقل الذي طبع في هذه الحشرة كل هذه الاوهام الغريزيّة لتقوم بها منذ اوّل انشاء العالم الى آخره وذلك دون ادنى خلل على طريقة تقضي بالعجب ؟

وما قلناه عن هذه الهامّة يجوز قولهُ عن كل الحشرات وعن كلّ صنف من الهوامّ حتى اصغرها جرماً. على ان تلك الهوامّ لا تتقلّد هامّتنا هذه لأنّ لها في ذاتها اوهامها الموافقة لنوعها لا تتجاوزها مطلقاً فهي تنشأ معها دون تلقين ولا تحتاج الى تعليمها لقسلها

دونك مثلاً آخر يوقفك على وهم الحشرات وغريزتها المطبوعة لحفظ جنسها. انظر الى هذه الفراشة التي فتحت شرنقتها المحجوبة في جذر شجرة ثمّ نشرت اجنحتها الزاهية وطارت في الفضاء. فمن ساعتها تحوم حول الزهور لتمتصّ من اكمامها نقطة من العسل. وكأنها تعلم بانّ ايّام حياتها محصيّةٌ فللحال تعود الى الشجرة التي تربّت هي فيها او شجرة من صنفها دون ان تخلط شجرة بشجرة كالحور بالزيتون او التوت بالدفلى فتودعها بيضها ليفقس فيها فيعيش في قلب الشجرة سنتين وثلث سنين آكلاً من خشبها. وهذا الخشب مع صلابته تقوى الدودة على ثقبه وتخرجه بما خصّها الله من الفكّين القارضين ولا تزال تثقب ذاك السرب الى ان يحين وقت تحوّلها الى فراشة فتبلغ الى قشرة الشجرة اللينة فلو صارت فراشة في وسط الشجرة لما امكنها ان تخرج منها ولو فتحت القشرة اللينة قبل ان تطير اصطادها الطير فتدبّر كلّ شيء على حسب حاجاتها الحاضرة والمستقبلة كاحذق الصنّاع

ومن المعلوم انّ انواع الفراش عديدة جدًّا تبلغ الالوف ولكلّ صنف من دودها قوتهُ الخاصّ لا يستطيع ان يستبدلهُ بغيره فهذا لا يأكل الّا ورق الملفوف وذاك ورق التوت وغيرهُ يغتذي بالتلقاس فاذا اعطيتَ دودةَ قوت غيرها أبت اكلهُ

وماتت كما يعلم المربون لدود القز وكما يختبره الاولاد الذين يجبون تربية دود الفراش في خزانة او جرار فانهم يدرسون طبع كل دودة ليأتوها بطعامها الخاص بها

وما يعرفهُ الناس بالدرس يعلم به الحيوان بفطرته الغريزية. كذلك يقسم ارباب الطبيعة النبات الى اجناس وانواع وفصائل وتقسيمهم هذا مبنيٌّ على مراقبة خواص تركيب النباتات وشبه بعضها ببعض فالحشرات ودود الفراش لم يخفَ عليها ذلك فانها اذا اعوزها صنف النبات الذي تفضلهُ يمكنها ان تعتدي بالصنف الآخر الذي يقرب منهُ وينظمهُ العلماء في فصيلته فانَّ دودة القلقاس مثلاً ان لم تجد قلقاساً او بطاطا اعتدت بالبنادورا وكذلك دودة اللفوف يمكنها ان تقتات بالكرنب والقنبيط واللفت التي هي من نوعه

ومن غريب ما يلحظهُ ارباب الطبيعة ان الفراشة لا تلتي بزرها الا حيث يمكنهُ اذا تفقَّص ان يجد قوتهُ. يعلم مثلاً اهل سواحل الشام ان لشجرة الدفلى ذات الزهر الورديّ غالبًا والابيض احياناً دودةً تُرى على اوراقها في الربيع فهذه الدودة اذا شرنقت ثم صارت فراشة (Sphnyx du Laurier-rose) تخلب النظر بالوانها الجميلة

ولا عجب من كون هذه الفراشة تنمو في السواحل حيث الدفلى كثيرة ايضاً ولكن ليس في بلاد البقاع دفلى الا شجرة واحدة غرسناها في ارض ديرنا الواقع في تعنايل. فلما نمت الشجرة رأينا عليها دودة الدفلى فاخذنا الاندهاش من امرها كيف انتقلت الفراشة من سواحل بيروت الى تعنايل فأتت الى هذه الشجرة الوحيدة في كل البقاع. يا لله كم في الطبيعة من اسرار يعجز عن ادراكها عقل الانسان !! (لهُ بقيَّة)

كهنة حلب الموارنة في الاعصر الاخيرة

لحضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

بين آثار المكتبة المارونيَّة في حلب الشهباء سلسلة مطَّردة السياق عدَّد فيها كتبتها الافاضل اسماء الكهنة الموارنة الذين انقطعوا الى خدمة الدين والوطن وانفقوا الحياة في جليل الاعمال وجميل المساعي فكانوا مصابيح فضل وفضيلة اهتدت الطائفة العزيزة بانوارهم في ظلمات العصور المعروفة بالاخيرة وتركوا بعدهم من محمود المآثر ومأثور المحامد ما يبقى ذكرهُ في الاعقاب ويطيب نشرهُ على تعاقب الاجيال والاحقاب